أنواع الحوار في شعر محمد بن يسير الرياشي

ا.م.د فلاح عبد علي سركال م.م نعمان جرو علي نصار

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

إن هذا البحث يُسلط الضوء على الحوار الخارجي والداخلي من خلال شعر محمد بن يسير الرياشي ومن هذه الاشعار الخاصة بالحوار نستطيع التعرف على وجهة نظر الشاعر تجاه الحياة وما يطرأ عليها من تغيير .

This research sheds liqht on the internal and external dialogue in the poetry of muhamad bin yasir alriyashy

. From this special notice of the dialoque, we can identify the poet,s view of life and what he is called upon to chanqe.

مقدمة :

لا يمكنُ اغفال ما للحوارِ من دور بارزٍ في القصيدةِ العربية , وإن كان في بعض الأحيان حواراً بسيطاً لا يخرجُ عن نطاقِ المساجلةِ الآنيّة , والتأثير الذاتي , فالشاعر وجد بالحوار متنفسّاً عمّا يجولُ في مخيلته , ولإبراز القدرات الإبداعية التي يحاولُ من خلالها تكثيف المعنى المراد لها , والتركيز على الأهداف المرجوّة معتمداً بذلك على الفكر أساساً والحوار أسلوباً مهمّاً لعرض الأحداث أو المشاهد التي تسند فكرته , ومن هنا كان عنوان البحث الموسوم بـ{ أنواع الحوار في شعر محمد بن يسير الرياشي }

وقد اقتضت الدراسة تقسيم البحث على مقدمة ومبحثين , تناول المبحث الأول الحوار الخارجي , وجاء المبحث الثاني ليتناول الحوار الداخلي في شعر محمد بن يسير الرياشي .

المبحث الأوّل

الحوار الخارجي (الدايلوج):

وهو نمطٌ من أنماطِ التّعبير الذي يدور بين شخصيتين أو أكثر داخل العمل القصصي, وقد يتَّسمُ هذا النمط كما أشار له (روجرم) بقوله :((يتسم حديثهم بالموضوعية والإيجاز والتكثيف والإفصاح وهو الطابع الذي ينسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار)) [1] ليؤدي دوراً مهما في تحريك الأحداث المتتابعة تحركاً درامياً , ولابد من وجود الحوار ((من وجود متكلم ومخاطب , ولابد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته . وغاية الحوار توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم , لا الاقتصار على عرض الأفكار القديمة , وفي هذه التجارب توضيح للمعاني , واغناء للمفاهيم , يفيضان إلى تقديم الفكر , وإذا كان الحوار تجاذباً بين الأضداد , كالمجرد والمشخص , والمعقول والمحسوس والحب والواجب سمي جدلاً)) [2], ومن هؤلاء الشاعر محمد بن يسير الرياشي الذي حرص بشكل أو بآخر على أن يُكثِّف العديد من الحوارات في ديوانه مستخدماً تقنية الحوار المتمثلة بأفعال القول (قال) ومشتقّاته في شِعره , فنجِدُ الريّاشي تارةً يُظهِرُ هو

صاحب الحوار وبقية الشخصيات تارة أُخرى , وقد ينقل لنا الشاعر حوار الشخصيات ليُظهرُ لنا اهمية العلم والقراءة التي سار عليها اوائل العلماء وما وصل الينا من نتائجهم العلمية التي تصبُّ في خدمة الانسانية جمعاء , ومما لا شك فيه ان هذه الابيات تنطلق من فكرة حديث الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن العلم ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية , أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له))[3]وهذا ما تجسد في حوار الشاعر ابن يسير الرياشي مع الشخص الذي ينكر فضل الكتب والعلم والعلماء الأوائل الذين بذلوا كل ما بوسعهم في خدمة الانسانية فجاء نصه أكثر صدقا وواقعية من ذلك قوله: [4] { من البسيط }

يـــا قـــائلاً قصـــرت فـــي العلـــم نُهيتُـــهُ أمســـى الـــى الجهـــلِ فيمـــا قـــالَ ينتَسِـــبُ
أن الأوائـــــل قـــــد بـــــانوا بعلمهـــــمُ خـــلاف قولـــكَ مـــا بـــانوا ومـــا ذهبُـــوا
مـــا مـــات منـــا أمـــروٌ أبقـــى لنـــا أدبـــاً نكـــــون منـــــهُ , إذا مـــــاتَ , نكتسِـــــبُ

لقد وظّف ابن يسير في النص الشّعري الحوار الذي دارَ بينَهُ وبينَ تلكَ الشّخصية من بعض الجُّهالِ الذين ينكرونَ فضلَ الاوائلِ من العلماءِ, فالشّاعرُ وُفّقَ في رسمِ صورةِ العلماءِ وما قدموا من أحداث وتطورات نوعية افادة منها الحياة الانسانية جمعاء , فالشاعر اكتفى بالإشارة الى آثار العلماء والكتاب التي بقيت خالدة في اذهان الناس وفي متون الكتب التي قاموا بتأليفها ونقلها من جيلٍ الى آخر.

وقد سخّر الشّاعر دور العلماء لخدمة افكاره واغراضه بصورة أدبية على الرغم من وجود حالة خلاف مع الجهال الذين انكروا فضل العلماء , وعلى الرغم من أن مهمته ليست نقل الواقع نقلاً مطابقاً وإنّما السّعي الى تغيير ذلكَ الواقع عبرَ خلقِ الوعي الذي يقترب كثيرا من غرض الحكمة ليقدّم لنا صورا من الحياة والواقع , لاسيّما وأنّ الفن يبدأ من الواقع فيتوازن مع الحياة والواقع على الرغم من اختلاف بين الفن والحياة .

وفي موضع آخر يردُّ الشاعر على بغاة العلم [5] ويهجو منيع البقال عندما هجمت شاته على دار ابن يسير وهو غائب , وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة فأكلتها كلها قائلا : [6] { من المنسرح }

قـــل لبغـــاة الآداب مـــا صـــنعت منهـــا الـــيكم فـــلا تُضـــيعُوها
وضـــمنوها صـــحف الـــدفاتر بالمـــ ـــخبر وحُســـنَ الخطـــوط اوعُوهـــا
فـــإن عجـــزتم ولـــم يكـــن علـــفٌ تســـيفُهُ عنـــدكم فَبيعوهـــا

ففي النص الشعري وجّه ابن يسير سخطهُ وهجائه عبَر هذه الشّخصية لنقل كلامه الى منيع البقال ويخبره بأنَّ شاته أكلت قراطيسه التي كانت فيها أشعاره , وعلى الرغم من أن الحوار كان خارجياً في النص الشعري إلا اننا لا نسمع في النص الا صوت ابن يسير الرياشي , أما شخصية الناقلة والمُتحاور معها فقد أبدت الصمت وحوار الشاعر معها ما كان إلا لتوصيل رسالة الشاعر الى منيع البقال مفادها ان يحبس هذه الشاة ويوفّر لها عَلَفها ولا يتُركَها سائبة تبحث عن طعامها واذا لم يستطع توفير علفها وشرابها فليبِعْها ، فمُرادُ الحوار هو هدف معين وهذه العبارات تولدت في ساعتها وقد أسهمت وبشكل فعّال في توعيته وتنبيهه .

وفي موضع آخر استعمل الشاعر تقنية الحوار أيضاً لتشخيص وكشف مقالة أهل الجدل و الاهواء والبدع وبالأسلوب نفسه عرض الموقف المعادي لإظهار موقفه منهم نحو قوله: [7] { من المنسرح }

يـــا ســـائلي عـــن مقالـــة الشِّـــيَعِ وعـــن صُـــنُوف الاهـــواء والبـــدع
دع عنـــك ذكـــر الاهـــواء ناحيـــةً فلـــيس ممّـــن شـــهدتُ ذُو وَرَع
كُـــل انـــاسٍ بـــديُّهُم حَسَـــنٌ ثُـــم يصـــيرون بعـــدُ للسّـــمعُ
اكثـــرُ مـــا فيـــه ان يُقـــال لهُـــم لـــم يـــكُ فـــي قولـــه بمُنقطـــع

في النص الشعري سرد لنا الشاعر افكاره عبر الأسلوب الحواري الذي يقترب إلى حدٍ كبير من المحاججة الكلامية , التي حدثت أمامه عندما كان جالساً في مسجد البصرة والى جانبه حلقه من أهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها وقد تركت أثرا عميقا في نفسه , وكان لهذا الأثر دوره في أن يقّدم صوراً من الحياة والواقع فيها رزانة العلماء ونظرة عميقة للحكماء , ويقدم نظرات صائبة عن اصحاب الاهواء والبدع التي اضافوها على الدين الاسلامي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مُتخذاً من اسلوب النداء وسيلة لبيان سريرة القوم وأفكارهم وآرائهم من الأهواء والأعمال .

وقد يكون الشاعر مرغماً على مواجهة الحقيقة التي تؤُلمه , فيلجأ إلى الصاق صفة الانقطاع والابتعاد عن تعاليم الدين الاسلامي الحنيف , لذلك أن هذا الحوار لا يتم من فراغ , وإنما يدور حول فكرة , أو موضوع يستحق المناقشة خصوصاً مع اصحاب الجدل والاهواء والبدع , وقد يتحول الحوار الى درجة العداء , والتحزب الضيق , والخروج عن مصالح الأمة .

ومما يبدو للباحث أن ابن يسير الرياشي لا يترك الشخصيات تتحدث لذاتها أكثر مما يشعرنا أنه يخلق تأثيره عليها بوصفه راوياً مشاركاً في الحدث وكذلك ليعبر به عن تبرير موقف أو سلوك محدد , وهو مضطر في هذه الحالة الى نهج هذا السلوك ليمرر من خلاله افكاره وآرائه ومواقفه من هؤلاء أهل البدع.

وفي موضع آخر نجد الشاعر محمد بن يسير يرد على عتاب زوجته ؛ لأنه أحبَّ امرأة من قيان أبي هاشم بالبصرة تدعى (حُسَين) فكتب اليها قائلاً:[8] { من البسيط }

لا تـــذكُري لوعـــةً أثـــري ولا جزعـــاً ولا تُقاســـنَّ بعـــدي الهـــم والهلَعَـــا
بـــل انتســـي تجـــدي إن انتســـيتِ اســـا بمثـــل مـــا قـــد فُجعـــتِ اليـــوم قـــد فُجعـــا
مـــا تصـــنعين بعـــين قـــد طمحـــت إلـــى ســـواكِ وقلـــب عنـــد قـــد نزعـــا
إن قُلـــتِ: قـــد كنـــتُ فـــي خفـــض وتكرمـــةٍ فقـــد صـــدقتِ, ولكـــن ذاد قـــد نزعـــا
وإي شـــيءٍ مـــن الـــدنيا ســـمعت بـــه إلاّ اذا صـــار فـــي غاياتـــه انقطعـــا
لـــم تُبـــق عينـــا حُســـينٍ عنـــد لحظهمـــا لَغَيرهـــا فـــي فُـــؤداي بعـــدها طَمَعَـــا

لقد صاغ الشاعر هذه الحادثة التي تمثل قمة التأزم بين الزوجين عند إدخال شخص ثالث بأسلوب حواري إنماز بالتوتر والتشنج من قبل زوجته , فالشاعر لم يصمت بل عبرَ فيها عن وطأة الفعل الذي قامت به , فالشاعر والأديب عامة ((يحاول إظهار ما يشعر به , لا ما يراه أو يسمعه ؛ فهو إنّما يعبر عمّا ارتسم على صفحات نفسه ويعمد إلى تصوير الأثر الذي احس به))[9] وإيصال ذلك الأثر إلى القارئ أو السامع معتمداً في ذلك على تقنية ضمير المخاطب غالباً وعلى ضمير المتكلم أحياناً[10] وهو على حد قول الدكتور عباس حسن : ((توجيه الدعوة إلى المخاطب , وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلم))[11] من هنا نجد أنّ هذا الاستفهام ينطوي على مقصدية إثارة الخلاف ورسم المسافة منذ البداية بينه وبين زوجته , فأسئلة الشاعر لا تهدف إلى الاستعلاء وإنّما تأتي لتنبيهها, حتى ترجع إلى نفسها, وهكذا تظل المعاناة من المُحب وما ينطوي عليه , الهاجس الشائع عند كشف الشاعر اسراره لزوجته , ويلاحظ أن الرسول الذي نقل كل ذلك إلا أنه لم يكن مخاطباً مقصوداً الشاعر بل إنّ زوجته هي المعاتب الرئيس الذي وُجِّه اليها الحوار من الشاعر(المتكلم) , وبذا تتلاشى شخصية الرسول بشخصية المخاطب (الزوجة) مع أهمية ما قامت به في حضورها وغياب المخاطب. وفي موضع آخر من قصيدة له مدح فيها جارية بخرته وطيبته بغالية قائلاً:[12] { من البسيط }

يـــا باســـطاً كَفّـــهُ نَحـــوي يُطيبُنـــي كفّـــاكَ اطيـــبُ يـــا حبّـــي مـــن الطِّيـــبِ
كفَّـــاك يجـــري مكـــان الطيـــبِ طيبُهُمـــا فـــلا ترِدنـــي عليهـــا عنـــد تَطييبـــي
يـــا لائمـــي فـــي هَواهـــا انـــتَ لَـــم تَرَهَـــا فأنـــت مُغـــرىً بتـــأنيبي وتعـــذيبي
انظُـــر الـــى وجَهِهـــا هـــل مِثـــلُ صُـــورتِهِ فـــي النّـــاس وَجـــهٌ مُجلّـــى غيـــرُ محجُـــبِ

وهنا ايضا توافقت صيغة النداء مع هذه الاساليب الانشائية كالأمر والنهي , والنداء والاستفهام , والتوكيد), إذ لجأ الشاعر محمد يسير الرياشي إلى هذه الأساليب ايراداً منه لتقوية المعنى الذي يراد ايصاله الى الشخص الذي يلومه في هواها مما يفيد الايغال في وصف حال جارته التي طيبته بهذا العطر؛ فيكون النداء فيهما على حقيقته , بوصفه أداة تنبيه لم يقصد لذاته , بل من أجل شد انتباه المخاطب , كما استعان بالضمير (انت) من أجل التأكيد فبقوله: (أنت لم تراها) (فأنت مغرىً بتأنيبي وتعذيبي) جذب انتباه المخاطب للأمر المطلوب بالإضافة الى تتابع صيغتي النداء والضمير في هذا النص قد أوجد إسلوباً يدعو الى الشدة والجزم ليثير الانتباه لدى المخاطب , ومثله ايضاً قول الشاعر ابن يسير عندما شكا اصحابه الى والي البصرة قائلاً: (13) : { من المديد }

يـــا أبـــا حفـــصٍ بحُرمتنـــا عـــنِّ نفســـاً حـــين تنتهَـــكُ
خُـــذ لنـــا ثـــاراً بجلُتنـــا فَبِـــك الاوتـــارُ تُـــدرَّكُ

وهنا ايضا توافقت صيغة النداء مع صيغة الأمر إذ لجأ ابن يسير الى ذلك إيراداً منه لتقوية المعنى فبقوله (خُذ) تأكيدا للأمر المطلوب فالشاعر أراد من والي البصرة ان يأخذ بثأره من اصحابه نتيجة العناء الذي اتعبه طويلا وانتهاك حرمته و كل ذلك كان بسببهم فالشاعر حريص على ان يأخذ والي البصرة هذا الموقف لصالحه , فلجأ الشاعر الى اسلوب الأمر على أمل ان ينال ما مبتغاه.
فالأمر جاء بعد النداء بوساطة اسم فعل الامر (خُذ) والتداخل بين الصورتين قد أوجد اسلوبا طلبيا يدعو الى الشدة إلا أن النداء ترك أثرا في ذهن المتلقي جعله أكثر تشوقا لمعرفة الأمر المطلوب(14).
ويبدو أن وصف القدور والجفان كان يدخل في باب الهجاء بالبخل على ما نحو ما نجده في أبيات ابن يسير الرياشي وهو يرد على ابن الرّقاشي قائلاً : (15) { من الطويل }

أتتنـــا تُزَجيّهـــا المجـــاذِيفُ نحونـــا وتعقُـــبُ فيمـــا بـــين ذاك المراديـــا
فقُلـــتُ : لمـــن هـــذي القُـــدورُ التـــي أرى تهيـــلُ عليهـــا الـــرّح تُربـــاً وســـافيا؟
فقـــالوا : وهـــل يخفـــى علـــى كُـــلِّ نـــاظرٍ قُـــدورُ وقـــاشٍ أن تأمـــلَ رائيـــا
فقلـــتُ: متـــى بـــاللحمِ عهـــدُ قُـــدورُكم؟ فقـــالوا: إذا مـــالم يكُـــنّ عواريـــا

لقد تفنن الشعراء في وصف البخل وآثاره على نفسه وعلى الطبقات الدنيا والمتوسطة من المجتمع ممن يحيطون به سواء أكانوا من اقاربه أم غيرهم , واستعملوا أساليب مختلفة في توصيل هجائهم , وكان الحوار من تلك الأساليب التي اظهرت صفة البخل والابتعاد عن هذه الصفات والخصال الذميمة فهي تنقلهم إلى حياة تذكر متاعب الحياة الواقعية وما اعتراها من ظلم وحيف على المحتاجين , لذا سخّر ابن يسير تقنية الحوار لتحديد واظهار شخصية ابن الرقاشي والكشف عن طبيعتها المتمثلة بالبخل - وهو نوع من أنواع تفشي صفة البخل لدى العامة - مازجاً بين الوصف والحوار لإبراز مغزى النص وتكثيف معانيه مستثمراً أدوات الاستفهام التي كررها في الأبيات الثلاث الأخيرة , جاعلاً من المهجو ظرفاً يحتوي هذه الصفة المذمومة فيكون هو موطنُها ومنبعها وله عرق الأصالة فيها .

المبحث الثاني

الحوار الداخلي (المانلوج):

أورد روبرت هنري تعريفاً للحوار الداخلي (المانلوج) بأنَّه : ((هو ذلك تكنيك المستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية, والعمليات النفسية لديها دون التكلم بذلك على نحو كلي أو جزئي)) [16]وحسب ما جاء به (هنري) لتقسيم المنولوج (مباشر – غير المباشر) المباشر فهو الذي يمثّل عدم الاهتمام بتدخل المؤلف وعدم اقتران أن هناك سامعاً بل موجود بإشارته , وغير المباشر وهو الذي يعطي القارئ احساساً بحضور المؤلف المستّمر[17] .

ومما سبق فالمونولوج الداخلي أداة فنية تعمل على كشف الشخصية وإظهارها من الداخل فضلاً على الحالة الشعورية التي تنطوي عليها الشخصية , كما أنّ حضوره في النص ودرجته دالان على وئام الشّخصية وانسجامها مع الواقع الخارجي , فتسعى إلى عرض همومها وأمانيها وتصوراتها عن الحياة والناس عبر حديث داخلي يتصل بالعالم[18] .

وفي موضع أخر نجد الشاعر محمد بن يسير يخاطب عينه طالباً منها أن ترثي الواحه قائلاً: [19] { من الخفيف }

عـــينِ بُكِّـــي بعبـــرةٍ تَســـفاح واقيمـــي مـــآتم الالـــواح
اوحشـــتُ حجزتـــي وردُنـــاي منهـــا فـــي بكـــوري وعنـــد كـــل رواح
واذكُريهـــا إذا ذكـــرت بمـــا قـــد كـــان فيهـــا مـــن مرفـــقٍ وصـــلاحي

يوجه الشاعر حواره إلى عينيه طالباً منها أن تبكي بعبرة وغزارة وكأنّه يُخاطب إنساناً طالباً منها أن تُقيم مأتماً لكثرة حزنه على هذه الالواح التي سرقت منه اثناء رجوعه من مجلس جعفر بن سليمان [20] , فالشاعر كلّما شعر باشتياق الى الواحه التي وضعها في إزار ردن يدهِ , أمر العين ان تذكرها في اي مجلسٍ أو منبر يكون فيها , وربّما لم يجد الشاعر ما يشتكي همومه اليها افضل من العين ؛ كونها تعيد اليه بعض ذكرياته وهي في يده , وكذلك لان العين هي موضع الدمع الذي يبرز حالة الانفعال التي يعيشها الشاعر محمد بن يسير وقد كان بمقدوره أن يتحدث مع العين بأسلوب آخر, لكنه آثر ان يختار خطاب العين بأسلوب الأمر؛ لأن هذا الاسلوب يتدخل تدخلاً كبيرا في إحداث أثر ما في نفسية المتلقي , ومما لا يختلف عليه اثنان فإن العين هي المرآة الحقيقة ومصدرها وهي المعبرة عن عمق الحزن بالدموع , أما البكاء فهو وسيلة الشاعر للتعبير عن الحزن بالدمع[21] .

لقد تأثر الشعراء في العصر العباسي بالفكر الديني فبلغ الأمر الى أن بادروا في اقتباس آيات من القران الكريم في شعرهم ومن هؤلاء الشاعر محمد بن يسير الرياشي إذ قال : [22] { من البسيط }

إن الأمـــور إذا انسَّـــدت مســـالكُها فالصـــبرُ يفـــتحُ كـــل مـــا ارتَتَجـــا
لا تيأســـنَّ وإن طالـــتْ مُطالبـــةٌ إذا اســـتعنتَ بصـــبرٍ أن تـــرى فَرَجَـــا

خاطب الشاعر في البيتين الشعريين شخصاً طالباً منه أن يصبر فان في الصبر مفتاح الفرج , مُقتبساً من قوله تعالى : ((اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [23] مع تغيير في السياق لِمَّا تستوجبه الضرورة الشعرية والايقاعية , وهذه العبارات المستنبطة من الآيات القرآنية بطبيعتها اسهمت وبشكل فعّال في بث روح التفاؤل والأمل والتشوق لدى السامع . ولقد اجاد الشاعر في نقل فضائل الصبر الى المتلقي , وله في موضعٍ آخر مشابهٍ لِمَّا سبق ذكره مستفيداً من الصبر عبر تجربته في الحياة قائلاً (24) { من البسيط }

أنـــي رايـــتُ – وفـــي الايـــام تجربـــة - للصـــــبر عاقبـــــة محمـــــودة الاثـــــر
وقـــل مـــن جـــد فـــي امـــرٍ يُطالُبـــهُ فاستصـــحب الصـــبرَ إلا فـــاز بـــالظفر

جعل الشاعر من التجربة أساس نصّه في هذين البيتين متخّذاً من الصبر منهجاً وسلوكًا محموداً يكلل من تجشّمَ عناء الصبر بالظفر والفلاح ويمنحه القوة والتفاؤل , وبالتالي يعطي للإنسان الذي يجد في امر ما يطلبه زخماً معنوياً من التحدي في الحياة , وهو بمثابة بوصلة تبين لصاحبها اتجاه طريق الصواب.
ومن المُلاحظ على الشاعر توظيفه المعاني السهلة وهذه المعاني بطبيعتها تجعل الشاعر يتنقّلُ بخفة وسهولة وكأنّه: ((كتب هذه الأبيات نثراً ووضع له وزناً وقافية وهذا ما يدل على براعة الشاعر وتمكنه من آلته الشعرية فضلاً عن قدرته على الاختيار المناسب للأوزان التي تستوعب أفكاره التي حققها وكشف سرّها من خلال البنية الحوارية)) [25] التي عكست تجاربه في الحياة التي كان يعيشها الشاعر فاظهر لنا هذه الحكم الناتجة عن الراحة والاطمئنان الذي ترك أثراً واضحاً في نفسية الشاعر, وللشاعر أيضاً يذكر الموت قائلاً [26]: { من الخفيف }

عجبـــا لـــي ومـــن رضـــاي بـــدنيا انـــا فيهـــا علـــى شـــفا تغريـــر
عالمـــا لا اشـــكُ أنـــي الـــى اللـــ ـــــــــه إذا مـــت او عـــذاب الســـعير
ثـــم الهُـــو ولســـتُ ادري إلـــى ايـــ ـــــــهما بعـــده يصـــيرُ مصـــيري
أيُ يـــوم افضـــعُ مـــن يـــوم مـــر بـــه تُبـــرز النُّعـــاةُ ســـريري
كُلمـــا مـــرّ بـــي علـــى أهـــل نـــادٍ كُنـــتُ حينـــاً بهـــم كثيـــر المـــروري
قيـــل: مـــن ذا علـــى ســـرير المنايـــا؟ قيـــل : هـــذا مُحمـــدُ بـــن يســـيرِ

وهذا الحوار جاء بمفاهيم قصيرة وموجزة معبرة عن الفكرة في موضوع محدد لا يخرج عن الاهداف التي يرمي الى تحقيقها, فالشاعر ((لا يقوم بوضع الكلمات والاوصاف الدالة على مشاعره وانواعها , وانما يقوم بالتعبير عن خصوصية لكل شعور يمر به وليس هذا بالأمر الهين)) [27]. وهذا يعود لأمرين أولهما بث تعجبه ورضاه على الدنيا الزائلة ولا يعرف الى أين مصيره والثاني استثارة المتلقي , لذا أصبح بطل القصيدة الشاعر نفسه ولم يعد الحديث يأتينا من الخارج , وإنما صار ينبع من الداخل ,وقد عاتب الشاعر محمد بن يسير في موضع آخر أحمد بن يوسف حين أبطأ عليه قائلاً : [28] { من الخفيف}

هـــل مُعـــينٌ علـــى البُكـــا والعويـــل أم مُعـــزٍّ علـــى المُصـــابِ الجليـــل؟
ميـــتٌ مـــات وهـــو فـــي ورق العيـــ ـــــش مُقـــيمٌ بـــه وظـــل ظليـــلِ
فـــي عـــداد المـــوتى وفـــي عـــامر الدُنـــ ـــــيا أبـــو جعفـــرَ أخـــي وخليلـــي
لـــم يمـــت ميتـــة الوفـــاة ولكـــن مـــات عـــن كُـــلِّ صـــالح وجميـــلِ

واضح من النص الشعري أن النبرات الإستفهامية الآمرة والتساؤلات التي قامت بين سائلٍ ومجيب في هذا الحوار الذي ((تضمن فعلاً وردّ فعل ودافعاً واستجابه ... وإداء بمعلومات... وشخصيات تفصح عن خواصها))[30] الذاتية , فالشاعر((سخر إمكانيات الإستفهام الإنشائية لإثارة المتلقي وشده إلى الحدث المتتابع في النص))[31] كاشفاً لنا بعض جوانب هذه الشخصية المغترة ابعادها عبر تصويره للموقف وبشكل يفصح عما في داخلها ما هي إلاّ وسيلة اتخذها الشاعر للتأثير على متلقية وادخاله في عمق الصورة , وهو بذاك جعل من هذه المواقف التساؤلية والاحداث تمرّ على المتلقي وكأنها تحدث على خشبة مسرح أمامه , وعلى هذا فإن صيغة الاستفهام كثيراً ما ترافق وتلازم الحوار ذي الطبيعة الدرامية, وذلك لقدرتها وإمكانيتها على

أن تحرك الذهن والنفس وأن تثير الانتباه لدى المتلقي[32] . ومن هنا تظهر مهارات الشاعر وقدرته الذاتية في الأداء فهو يسعى لتحقيق مبدأ الانسجام والتناسب النصي حينما يجعل الأمر اختيارياً ليبين مواقفه كما في قوله : [33] { من البسيط }

ابقـــوا لنـــا حِكَمـــاً تبقـــى منافِعُهـــا أَخـــرى الليـــال يعلـــى الأيـــآم وانشـــعبُوا
فأيُمـــا أدَبٍ مـــنهم مـــددتُ يـــدي إليـــه , فهـــو قريـــبٌ مـــن يـــدي كَتَـــبُ
إن شِـــئتُ مـــن مُحكـــمِ الآثـــار يرفعُهـــا إلـــى النبـــي ثِقـــاتُ خِيـــرةٌ نُجُـــبُ
أو شِـــئتُ مـــن عـــربٍ عِلمـــا بـــأوَّلِهم فـــي الجاهليـــةِ انبتنـــي بـــه العـــربُ
أو شِـــئتُ مـــن ســـير الامـــلاك مـــن عجـــمٍ تُنبـــي وتُخبـــر كيـــف الـــرأيُ والأدبُ
حتـــى كـــأني قـــد شـــاهدتُ عصـــرهُمُ وقـــد مضـــت دونهـــم مـــن دهـــرهم حقـــبُ

إنَّ الشاعر في هذه الابيات اتخّذ من فعل الأمر الموجه إلى المخاطب في كشف اهمية الاحكام والافكار والمعتقدات الصحيحة التي تدرّ بالنفع على الاجيال القادمة , وكما يقول محمد جواد مغنية في كتابه تفسير الكاشف : ((أن من طبيعتها تنشر بين الاخرين الانتفاع بها والحكمة تنبذ الرذائل وتحث على المكارم والمحاسن))[34] وان طالت الايام والليالي , فالشاعر على يقين ان لا ينالها الا ذو حظ عظيم كما قال تعالى : ((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا))[35] , لذا نجد الشاعر يطلب من الكُتّاب ان يبقوا لهم هذه الحكم على سبيل النصح والإرشاد بغية التمسك بها والإفادة منها في حياتهم اليومية , وقد بين الشاعر نتيجة كل منها وما سيؤول إليه هذا الاختيار, من خلال توظيف لغوي مبني على فعل الاختيار(شئت) الذي اتخذه وسيلة للكشف عن طبيعة هذه الايثار , ومن هنا نجد الشاعر في عجز هذه الابيات التي وظّف فيها الاجابة و يركز على هذا الادب الذي اصبح قريب وباستطاعته ان يختار ما يشاء من هذا التراث العلمي , لما لهذا الفعل (شئت) من دلالة عدم إلزام المخاطب بكتب معينة دون غيرها , وذلك لأن هذه الحكم هي فطرة سليمة يتمتع بها الإنسان منذ البدأ وفي موضع آخر نجد الشاعر يرثي قصر النّوشجاني[38] قائلاً: [39]

إلا ياقصـــــر قصـــــر النّوشـــــجاني أرى بـــك بعـــد أهلـــك مـــا شـــجاني
فلـــو أعفـــى الـــبلاءُ ديـــار قـــوم لفضـــل مـــنهم ولعُظـــم شـــانِ
لمـــا كانـــتْ تُـــرى بـــك بينـــاتٍ تلـــوح عليـــك آثـــارُ الزمـــانِ

لقد كشف الشاعر عن لواعج نفسه وحنينيه الى قصر النوشجاني الذي كان موصوفاً بالجمال , واوصافه الخلابة التي سكبت في نفسه الحنين الى طبيعته الاولى بعدما خرب واختل وأصبح مهجوراً , فعبر الشاعر محمد بن يسير عن حزنه وشجاه لما جرى للقصر ذاكراً فضل أهله ومكانتهم , وهكذا تبقى علاقة الشاعر بقصر النوشجاني علاقة مشحونة بالقيم والدلالات الايحائية التي تغلغلت في اعماقه.

ومما وردَ نلخص القول بأن الحوار يُشكِّلُ بنية أساسية في شعر محمد بن يسير الرياشي حتى جاز لنا أن نعد التقنية الأساسية في قصائده من استفهام وأمر ونداء ولقد وردت بأساليب واشكال متنوعة فكانت خير معين له في خطاباته سواء كانت تلك الخطابات مع الاخرين (دايلوج) ومع نفسه (مانلوج) فجاءت كما أراد لها أن تكون مستوفيه لجميع افكاره لما لها من مادة ثرية في استيعاب مخيلته وإظهار مكنوناته النفسية والمنطقية , وما يتصل بها من صيغ أخرى وهذه الصيغ مهما تنوعت اشكالها لا تتعدى من أن تُصنف ضمن نوعي الحوار الخارجي والداخلي .

الخاتمة

بعد توفيقٍ من الله العلي القدير توصل البحث إلى جملة نتائج نجملها بما يأتي:

1- نال الحوار مساحة واسعة في شعر محمد بن يسير الرياشي مُتخذا منه منفذاً للتعبير عن مشاعره بأساليب فنية .

2- اجرى الشاعر حواراته مع العلماء والولاة والقادة والعذال واصحاب البدع و غيرهم , وقد جسّد الحوار الداخلي والخارجي صرعات فكرية وعقائدية عالج من خلالها الأمور المهمة.

3- وردت صيغ افعال القول بكثرة في شعر محمد بن يسير الرياشي مما ساعده احياناً على خلق جو دراميا يتفاعل مع بنية النص الشعري.

4- ورود أساليب الطلب في شعر محمد بن يسير الرياشي أبرزها النداء والاستفهام والأمر فكانت هذه الأساليب عوناً لنفس الشاعر في احتواء افكاره و توجيه خطابه للآخرين.

5- اسهم الحوار في شعر محمد بن يسير الرياشي في الكشف عن المقاصد الضمنية التي يحويها النص إلى جانب المقاصد الظاهرة.

هوامش البحث

1. ينظر : فن الكاتب المسرحي (للمسرح والإذاعة والتلفزيون والسينما) روجرم , بسفيلد - ترجمة دريني خشبة , مكتبة نهضة مصر ,1964 : 118.

2. المعجم الفلسفي بالألعاب العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية : جميل صليبا 501/1 وينظر: تاج العروس :ج28 / 194

3. بحار الانوار : العلامة المجلسي ,ج2 : 23

4. ديوان الشاعر :46.

5. ينظر : الاغاني لابي الفرج الاصفهاني :ج20/14.

6. ديوان الشاعر : 127.

7. ديوان الشاعر : 94.

8. ديوان الشاعر: 94.

9. الصورة الادبية في القرآن الكريم : د. صلاح الدين عبد التواب : 26.

10. ينظر : مستويات الاداء الدرامي عند رواد شعراء التفعيلة : الدكتور عزيز عكاشي:45

11. النحو الوافي : د. عباس حسن :4 /1.

12. ديوان الشاعر :50 .

13. ديوان الشاعر : 105 .

14. ينظر : الحوار في شعر العصر العباسي (247) : 69 – 72 .

15. ديوان الشاعر :128 .

16. تيار الوعي في الرواية الحديثة : روبرت هنري :44

17. ديوان الشاعر : 49.

18. ينظر : الحوار في رواية الاعصار والمئذنة لعماد الدين خليل (دراسة تحليلية) : م. م. بسام خلف سليمان : مجلد /7/ العدد /13, 15.

19. ديوان الشاعر :59 .

20. ينظر : ديوان الشاعر: 60 .

21. ينظر : الحوار عند الشعراء العذريين في العصر الاموي (دراسة تحليلية) : هدى عدنان عباس السلطاني , رسالة ماجستير : 25.

22. ديوان الشاعر : 55.
23. سورة البقرة :153 .
24. ديوان الشاعر : 77 .
25. البنية السردية في شعر العصر العباسي الثاني (300 – 656 ه) : 172 – 173.
26. ديوان الشاعر :86 .
27. الأسس النفسية للنقد الأدبي: عبد الحميد يونس , دار الحمامي للطباعة 1958م:100 .
28. ديوان الشاعر : 110.
29. الدراما بين النظرية والتطبيق :حسن رامز محمد رضا : 425 .
30. خصائص الاسلوب في شعر العباس بن الأحنف :180 .
31. ديوان الشاعر : 45 .
32. تفسير الكاشف : محمد جواد مغنية : 81 .
33. سورة البقرة : 269 .
34. ديوان الشاعر :77.

روافد البحث

- الأسس النفسية للنقد الأدبي: عبد الحميد يونس , دار الحمامي للطباعة 1958م.
- الأسلوب , دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الأدبية : أحمد الشايب , ط8, مكتبة النهضة المصرية , مصر ,1991م.
- الاغاني : أبو الفرج الاصفهاني ,(ت 356ه – 976 م) , تحقيق : الدكتور احسان عباس , الدكتور ابراهيم السعافين , الاستاذ بكر عباس , دار صادر بيروت ,ط2008/3م.
- بحار الانوار : العلامة محمد باقر المجلسي ,الناشر , مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق , - بناء السرد – د. شجاع مسلم العاني , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , 1994م.
- البناء الفني في شعر الغزل في العصر العباسي : نجم محمد علي , اطروحة دكتوراه ,كلية الآداب – جامعة بغداد.
- البنية السردية في شعر العصر العباسي الثاني (300 – 656 ه) :إفتخار عناد يوسف , اطروحة دكتوراه , الجامعة المستنصرية – كلية الآداب ,2004م.
- تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي (1205ه) دار الفكر –بيروت (د. ت)
- تاريخ الأدب العربي : حنا فاخوري , المطبعة البوليسية , بيروت لبنان , (د. ت).
- تفسير الكاشف : محمد جواد مغنية : الناشر , دار الكتب الاسلامية -2005 .
- تيار الوعي في الرواية الحديثة : روبرت هنري , ترجمة : د. محمود الربيعي , القاهرة , دار المعارف , 1957.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي , إشراف , صدقي محمد جميل ,ط2 , مؤسسة الصادق (عليه السلام) للطباعة والنشر , طهران ,1383ف.
- ئالحوار عند الشعراء العذريين في العصر الاموي (دراسة تحليلية) : هدى عدنان عباس السلطاني , رسالة ماجستير : جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية,2014

- الحوار في رواية الاعصار والمئذنة لعماد الدين خليل (دراسة تحليلية) : م.م. بسام خلف سليمان : مجلد /7/ العدد /13, 15.
- الحوار في شعر العصر العباسي (حتى سنة 247ه) :محسن حبيب ناصر , رسالة ماجستير, كلية الادب – جامعة بغداد ,2007م.
- خصائص الاسلوب في شعر العباس بن الأحنف : فرحان الحربي , رسالة ماجستير , جامعة بغداد كلية التربية (ابن رشد) , 1998.
- ديوان محمد بن يسير الرياشي : جمع وتحقيق : مظهر الحجي , ط1 , إصدار دار الذاكرة – سوريا ,1996.
- شرح التلخيص : للشيخ أكمل الدين محمد بن أحمد البابرتي (ت 786 ه) , دراسة وتحقيق محمد مصطفى رمضان صوفيه , المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان , طرابلس ,ط1 ,1983م.
- شرح المفصل: موفق بن علي بن يعيش النحوي(643ه), دار صادر , بيروت,(د. ت)
- فن الكاتب المسرحي (للمسرح والإذاعة والتلفزيون والسينما) روجرم , بسفيلد - ترجمة دريني خشبة , مكتبة نهضة مصر ,1964 .
- المعجم الفلسفي بالألعاب العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية : جميل صليبا , دار الكتاب اللبناني , بيروت – لبنان , دار الكتاب المصري , القاهرة – مصر , 1978م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : الإمام أبو محمد عبد الله حمّال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام الانصاري المصري (ت 761ه) تحقيق ر: محي الدين عبد الحفيظ ,ط1, مؤسسة الصادق للطباعة والنشر , ايران.
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ,: د. عباس حسن ,ط3 , دار المعارف بمصر (د . ت)..